كلمة الكلية

بقلم الدكتور محمد ابراهيم كاظم
عميد كلية التربية

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة مجتمع من طلاب العلم والعمل يضم الطلاب والأساتذة ، ويقوم على الأخذ والعطاء ؛ وحده يشارك فيها الجميع بالحديث والاستماع والتفكير والفهم والقـــراءة والكتابة والعمل والبحث . والجامعة مجتمع يضم المفكرين والكتّاب والباحثين ، كما يضم الطلاب ، والجميع طلاب عمل في مركز للعمل الفكري الذي لا ينفصل فيه العمل عن النظر في صوره المختلفة ، كما لا ينفصل عن قضايا الأمة التي هو جزء منها .

وإذا كانت الأمة مجتمعاً كبيراً يضم العديد من المجتمعات الأصغر ، فالجامعة أحد هذه المجتمعات . وإذا كان المجتمع – أي مجتمع – تفاعلا بين أفراده ، يزداد قوة واستقراراً بنشاط التعامل ونمو التبادل بين الأفراد ، كما يضعف ، بل وينقطر بيطء هذه التفاعلات وانخفاض مستواها ، أو بما قد يصاحبها من توترات وصعاب ، فذلك هو مدخلنا إلى تصور المجتمع القومي والمحلي . وهذا هو مدخلنا لتصورنا للجامعة وعلاقاتها مع المجتمعات المحلية ومع الأمة .

والجامعات لا تزرع ، ولا تفرض على المجتمع ، بمعنى أنها إذا فرضت فرضاً كانت عبئاً على المجتمع يتحملها ، أو ينوء بحملها ، يتمثلها ، أو يحاصرها وينعزل عنها ويرفضها ، بعبارة أخرى إن قيام جامعة يمكن أن تقرره إرادة أفراد ، ولكن الجامعات لا تقوم بالقرار وحده ، كما لا تقوم بالمال وحده والإمكانات المادية وحدها .

وهكذا تكون الجامعة مؤسسة أيضاً تعمل لحساب نفسها – وهذا معنى الحرية الأكاديمية – ولكنها وهي تصنع هذا إنما يكون عملها لحساب المجتمع ، فهي محسوبة عليه ومحسوبة له . وعندما لا تتحقق هذه الصيغة تكون الجامعة – وأحياناً ما تكون مؤسسات أخرى كذلك – أعباء على المجتمع لا تفيده إلا بمقدار .

وإذا كانت الجامعة لا تقوم دون قرار بقيامها ، ولا تقوم دون المال الوفير الذي تحتاجه ، فإن مقوّمها الأساسي يظـــل باستمرار هو مدى تبين المجتمع لحاجته إليها ، ومدى وعي الجامعة لهذه الحاجات واستعدادها لتلبيتها ، ومدى ما تقدمه فعلا على مدى الأيام ، لتحقيق رسالتها كمؤسسة من مؤسسات الأمة .

وهي لا تستطيع أن تكون مؤسسة تحقق رسالتها وتساهم في تحقيق الأمـــة لرسالتها دون أن تكون قادرة على تحقيق ذاتها ، ودون رؤية صادقة لهذه الذات .

والرؤية الصادقة هي الرؤية المتكاملة التي لا تنفصل فيها الأجزاء عن الإطار العام للمجتمع وللأمة .

ومنطلقنا الأساسي كفكر جامعي هو أننا أمة إسلامية نتفاعل على أساس من إيماننا بدين الإسلام الذي هو بمعنى من معانيه مجموعة من المعتقدات المتكاملة الفاعلة في الإنسان كفرد وكمجتمع ، الظاهرة في عمله وسلوكه ومظهره الخارجي . ومادمنا على هذا الإيمان فنحن جادون في الالتزام بما يقوم به وما يقوم عليه .

والأمة الإسلامية ليست قائمة اليوم فحسب ، ولكنها قامت منذ قدر الله لها ذلك ، والأمة الإسلامية إذن هي التفاعل بين المسلمين منذ نزلت الرسالة وحتى الآن ، دون تأكيد على ماض ودون إهدار له ، دون ضياع حاضر العصر ودون إغفال له . نحن نحيا في مجرى الزمن بماضيه وحاضره ومستقبله على حد سواء وبشعابه جميعها .

وضمن إطار هذا المجتمع الهائل العملاق ، نحن عرب بدأنا في الصحراء ، ولكننا الآن في كل مكان ، لنا سماتنا المميزة كقوم ، ولنا قضايانا كواقع بدأ من ماض طويل عريض ، وينطلق إلى آفاق في المستقبل لا ترى البصائر حدودها .

وإذا كانت لنا مشاعرنا ، التي تؤججها الأحداث والتحديات ، بالانتماء العربي فهو انتماء داخل إطار انتماء العقيدة .

فللعرب بين المسلمين مكانة تقوم على ما قدموه وما وسعته طاقتهم ، وهو عطاء مستمر وطاقة سابغة موغلة ما بقي القرآن عربياً ، دون زلل الخلط بين ذلك وبين تفضيل عربي على أعجمي أو أعجمي على عربي إلا بالتقوى .

ووسط هذا الخضم تهزنا اليوم تحديات وأحداث جسام . تهزنا هزاً عنيفاً من الأعماق أحياناً . ومهمتنا أن نحيل براكين اليوم وأعاصيره إلى منبهات توقظ النيام ، ولا ندعها عواصف تخلع القوائم من جذورها ، تحرقها الصواعق وتذرو بقاياها الرياح .

وليس هذا خيالا متشائماً ، بل هي أبعاد حقيقية لحجم التحدي ، وأبعاد حقيقية لطاقة العمل المطلوب توافرها ، ولحجم العمل المطلوب إنجازه .

ولكن الحاضر ليس حكراً لأمة من الأمم . كما أن الحاضر لا يجابه بمجرد الاعتزاز بالماضي . ومن هنا كان علينا أن نبشر بحاضر جديد ، يتجاوز الشعار والتمني إلى الحقيقة ، ويقوم على عناصر التكنولوجيا العصرية والعلم في منهجه وثماره ، ولكن ضمن إطار المعاني الإنسانية الإسلامية العربية العليا ، وهو ما ينقص إنسان اليوم .

هذه ملامح ثلاث : الإسلام والعروبة والعصرية ، أرى أنها موضع مسئولية المفكر الجامعي العربي المسلم اليوم ، وهي ملامح تحتاج أن تتجسد في العمل الجامعي اليومي على ما يشوبه من نقص ، وهي تحتاج إلى انفتاح وانطلاق . وهي تحتاج إلى رؤية داخل النفس ، فمن أعماق الضمير تخرج وتمتد لترى الساحة كلها .

ولقد قامت جامعة في قطر بكليتي التربية للمعلمين والمعلمات منذ ثلاثة أعوام ، ولا أقول بدأت لأننا ننتمي إلى حياة جامعية عريقة عراقة الإسلام والعروبة ، قامت بقرار من أمير البلاد الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني وفكره وبرعاية رئيسها الأعلى الشيخ قاسم بن حمد آل ثاني وحدبه .

قامت تلبية لحاجة المجتمع في قطر . هذه الحاجة – التي هي حاجة خليجية عربية إسلامية إنسانية – قامت في ضوء رؤية جامعية واضحة الملامح محددة القسمات . قامت ولها فلسفة ولها موقف ، كما أن لها خطة عمل وبرنامجاً زمنياً مدروساً .

وضمن هذا البرنامج الذي تتكامل اجزاؤه بدأت برنامجها الثقافي ومحاضراتها العامة . وهو برنامج خطط له لكي يجمع الشرق والغرب والشمال والجنوب ، فالهواء النقي يحتاج إلى فتح النوافذ كلها .

ولقد ضم هذا البرنامج موضوعات معاصرة من الفكر والعلم ، كما ضم موضوعات من التراث ، وشارك فيه عـــدد من العلماء الأفذاذ ، منهم من كان بيننا في أسرة الكليتين ، ومن جاءنا من الشقيقات العربية وغير العربية ، كما ساهم معنا فيه المستشرقون من بلاد بعيدة .

وعلى مدى الأسابيع كان هذا البرنامج نبعاً يتجه إليه جمهور متنوع لا ليسمع فحسب ، بل ليناقش ويشارك ويتفاعل .

هو منبر للرأي والفكر ، ومنارة تشع ضياءها إلى آماد بعيدة تتخطى الآفاق المرئيـــة اليوم . وإلى جانب طلبة الكلية والدارسين في برامجها المختلفة ، واظب على الحضور العديد من الأهالي والضيوف الأجانب . فكأن الجامعة حتى وهي في خطواتها الأولى قد استطاعت أن تنفذ برسالتها إلى الأبناء والآباء ، جلسوا جنباً إلى جنب ، يتعرضون إلى نفس المصـــدر ونفس الفكر ، متجاوزين حائل الأجيال ، ومنطلقين في حوارهم النقي ، في مساراته السامية ومساربه العالية ، محققين تكاملا بين أجيال المجتمع ، تعتز الجامعة بأن تعتبره من أهدافها الأساسية .

إن آمالنا في المستقبل آمال عظام . وإن العمل العظيم لا يولد كبيراً ، ولكن يولد جيداً ، ولقد قصر الوسع ولكننا لم ندخر منه شيئاً .

وإني بمزيد من الإعزاز والاعتزاز ، أقدم هذا العمل مقدراً لكل من شارك فيه ، بفكر أو عمل أو حضور ، كما أخص بالذكر ، جهود اللجنة الثقافية وروادها التي قدمت هذا البرنامج والعلاقات العامة بالكلية التي كان لها دور مشكور في نجاح البرنامج وفي إخراج هذا الكتاب .

وأدعو الله مخلصاً ، أن يوفقنا ويسدد خطانا ويهدينا سواء السبيل .